

قدّم سكنر تصوراً جديداً يختلف عن التصور الكلاسيكي لبافلوف، إذ لم يعد السلوك مجرد استجابة لمثير محدد، بل أيضاً من خلال العواقب التي تترتب على سلوكه — سواء كانت مكافأة أو عقاباً. وُلد بورهوس فريديريك سكنر عام 1904 في ولاية بنسلفانيا بالولايات المتحدة، ودرس الأدب الإنجليزي قبل أن يتجه لاحقاً إلى علم النفس التجريبي في جامعة هارفارد. تأثر سكنر بأعمال بدلاً من المثيرات فقط. كرّس (Consequences) علماء السلوك مثل جون واتسون وإيفان بافلوف، حيث ركز على نتائج السلوك سكنر حياته للبحث في السلوك الإنساني والحيواني من خلال التجارب المعملية الدقيقة. أشهر أعماله كانت في مجال الاشتراط الإجرائي، كتب سكنر عدة مؤلفات أثّرت في الفكر النفسي، كان سكنر يرى أن علم النفس يجب أن يركز على السلوك القابل للملاحظة والقياس، وبذلك أكمل مسار المدرسة السلوكية لكنه أعطاها بعداً تجريبياً دقيقاً من خلال تحليل العلاقة بين السلوك ونتائجه. الاشتراط الإجرائي هو نوع من التعلم يحدث عندما يتم تعديل سلوك الفرد بناءً على النتائج التي تترتب عليه. السلوك الإجرائي هو السلوك الذي “يعمل” على البيئة ليُنتج نتيجة معينة، وهذه النتيجة هي التي تحدد استمرار السلوك أو انطفاءه. الفرق بين الذي اكتشفه (Classical Conditioning) الاشتراط الكلاسيكي والإجرائي يختلف الاشتراط الإجرائي عن الاشتراط الكلاسيكي بافلوف. فإن التعلم يحدث من خلال ربط السلوك بنتيجته (مثل الحصول على مكافأة بعد القيام بعمل جيد). في نموذج بافلوف يكون الكائن سلبياً يتلقى المثير ويستجيب له، بينما في نموذج سكنر يكون نشطاً، يقوم بالسلوك ويختبر نتائجه. فكرة “السلوك كنتاج للتعزيز أو العقاب” يرى سكنر أن جميع السلوكيات — سواء البسيطة أو المعقدة — يمكن تفسيرها من خلال التعزيز والعمل كلها أنظمة قائمة على هذه المبادئ: السلوك الإيجابي يتم تعزيزه فيزداد (Punishment) أو العقاب (Reinforcement) حدوثه. يصبح الإنسان كائنًا متعلماً باستمرار من خلال النتائج البيئية التي تُغذي سلوكه وتشكله. يُعد صندوق سكنر أحد أهم الابتكارات في تاريخ علم النفس التجريبي، مع مرور الوقت، استخدم سكنر الحمام لتعليمهم نقر مفتاح معين (Skinner Box) للحصول على الحبوب، مما أثبت أن السلوك يمكن تشكيله تدريجياً من خلال التعزيز الإيجابي. من خلال هذه التجارب، لاحظ سكنر أن السلوك لا يحدث عشوائياً، إذا تلت السلوك نتيجة مرضية (مثل الطعام أو المدح)، تقل احتمالية تكراره. ماذا تعني “الاستجابة الإجرائية”؟ فمثلاً، أو الطفل الذي يبتمس ليكسب رضا والديه — كلاهما يُظهران سلوكاً إجرائياً ناتجاً عن توقع نتيجة يُعد التعزيز أهم مبدأ في نظرية سكنر، فعلى سبيل المثال، فإن ذلك يُعزز (Reinforcement Principle) إيجابية. مبدأ التعزيز لكن سكنر حذر من الإفراط في استخدام العقاب (Punishment Principle) السلوك ويجعله يتكرر في المستقبل. مبدأ العقاب فعندما يتوقف المعلم عن مكافأة الطالب (Extinction) لأنه قد يؤدي إلى الخوف أو العدوانية بدلاً من التعلم الفعال. مبدأ الانطفاء ويُقصد به تشكيل السلوك المعقد تدريجياً من خلال تعزيز الخطوات الصغيرة التي تقود (Shaping) على المشاركة، مبدأ التشكيل إليه. يمكن تدريب طفل على نطق كلمة جديدة من خلال مكافأته عند كل محاولة ناجحة حتى يصل إلى النطق الصحيح الكامل. فيُظهر السلوك فقط في الموقف المناسب. مثال: الطفل الذي (Discrimination and Generalization) مبدأ التمييز والتعميم تعلم قول “شكراً” في البيت، يبدأ باستخدامها أيضاً في المدرسة. أنواع التعزيز والعقاب في نظرية سكنر لتوضيح كيفية تأثير النتائج على السلوك الإنساني. التعزيز الإيجابي هذا النوع يُعتبر الأكثر استخداماً في التعليم والتربية لأنه يشجع على التعلم بطريقة إيجابية. التعزيز السلبي هو إزالة مثير مزعج بعد السلوك الجيد. مثلاً: إعفاء الطالب من واجب إضافي عندما يظهر تحسناً في سلوكه الدراسي. مما يُحفز المتعلم على تكرار السلوك. لأن نتائجه قد تؤدي إلى التوتر أو المقاومة. هو إزالة مثير مرغوب بعد السلوك غير المرغوب. مثلاً: حرمان الطفل من مشاهدة التلفاز بسبب سلوك خاطئ. ويُستخدم هذا الأسلوب على نطاق واسع في تعديل السلوك لأنه يُعلم الفرد أن الأفعال السلبية تؤدي إلى فقدان الامتيازات. أمثلة تطبيقية على أنواع التعزيز والعقاب